أمالي السنة : ٥

أصل كلمة الفصح وابن بشكوال

بقلم الاب سرجي الدومنيكي
من اساتذة المعهد الكتابي والاثري الفرنسي في القدس الشريف

القسم الاول : كلمة الفصح

١

استفارها ، وتطور معانيها في اللغات السامية

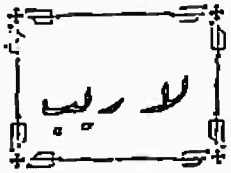

ان من قرأ من اهل الاختصاص مقالاتنا السابقة في الألسنية السامية لاح له اننا من رأي القائلين ، خلافاً للنحويين ، « بثنائية مادة الالفاظ الاصلية » ولذا رغبة منا في زيادة هذه النظرية جلاء ، نبسط هنا مثالاً حياً على قولنا ، ببحثنا عن اصل كلمة الفصح.

ان مادة (ف ص ح) وان كانت ثلاثية المبنى ، فهي ترجع بالحقيقة الى حرفين في اكثر اللغات السامية . اي الى حرف شفهي وهو اما الفاء او الباء ، وحرف صفير ، يلفظ تارة رخيماً ، وتارة مفخماً ، وهو السين او الشين او الصاد . ومهما يكن من لفظ هذين الحرفين ، فدلالتها الاصلية صادرة عن حكاية صوت الخروج ، فالامتداد ، فالانتشار ، ومن ثم فالانفصال والانقطاع . وللمبالغة في هذا المعنى ، يُزاد على هذين الحرفين حرف ثالث ، طبقاً للمبدأ القائل : « الزيادة في المبنى زيادة في المعنى »

ايضاحاً لهذا ، نسرد لك جدولاً في اللغات السامية الثلاث : العربية والارمية والعبرية ، مهملين الاكدية والحبشية ، لان امثلة هذا الاصل قليلة ، لا بل نادرة فيها.

١ — في العربية

الاصل الاول (فَ سَ)

هذه المادة الدالة على الخروج فالانتشار جرت فيها الزيادة اولاً باشباع حركة الحرف الثاني ، فصدر عنها الفعل الناقص فسا ، المعروف المعنى واما ما يعقبه من الافعال الثلاثية المبنى ، فقد ألحق به حرف صحيح ، للمبالغة في مدلول الثاني .

الاصل الثاني المزيد فيه حرف	الحرف الزائد	معنى الفعل الثلاثي
فسأ	همزة	الثوبَ : مدّه حتى تفزّر (الامتداد)
فسَّج	جيم	(من فسج غير المدوّن) فرج بين رجليه
فسح	حاء	وسع وفرج له وباعد خطوه
فسخ	خاء	فرق الشيء ، فنث مفصل اليد
فسد	دال	تغيّر اي امتدت اجزاؤه وتفاصلت
فسَر	راء	بيّن واوضح ، اي نشر وبسط
فسق	قاف	جار عن قصد السبيل ، اي انفصل وابتعد
فسل	لام	فطم ، اي فصل وقطع

الاصل الثاني (فَ شَ)
(اي المادة بينها بقلب السين شيناً)

فشّ	مضاعفة الحرف الثاني	افرغ ما في الوطب (الخروج والانتشار)
فشا	مدّ الحركة بالالف	نشر
فشج	جيم	فرج ما بين رجليه
فشخ	خاء	ارخى الرَّجلُ مفاصله
فشغ	غين	فشغه النوم : غلبه وكسله اي ارخاه ومدّه
فشق	قاف	انتشرت نفسه من الحرص
فشل	لام	ضعف وتراخى

الاصل الثالث (فَ صْ)
(اي المادة بعينها بقلب السين صادًا)

فصّ	مضاعفة الصاد	رشح الماء اي امتدّ وانتشر
فصى	مدّ الحركة بالالف	فصل ، اي مدّ وقطع
فصح	حاء	بانت فصاحته اي امتدت[1]
فصخ	خاء	تنابى اي انفصل
فصد	دال	شقّ ، اي فصل فابعد
فصل	لام	ابعد الشيء عن غيره
فصم	ميم	كسر ، قطع ، اي فصل[2]

ب — في الارمية

وكذا الامر في اللغة الارمية ؛ فان المادة فيها ثنائية ، بلفظ الحرف الاول پاء او فاء حسب اللهجة ؛ ويخرج الحرف الثاني تارة سيناً ، واخرى شيناً ، وغيرها صادًا .

الاصل الاول (p. s.)

معنى الفعل الثلاثي	الحرف الزائد	الاصل الثاني المزيد فيه حرف
فصى ، عرق ، اي معنى الانتشار	.	Pas[3]

١) احفظ بان هذا الفعل الثلاثي العربي ، سواء كانت عينه سيناً ام صادًا ، لا يدل ، من حيث الأصل والاشتقاق ، لا على الاجتياز والمرور ، ولا على الاحتفال بعيد مطلقاً ، او عيد الفصح خاصة .

٢) راجع الشرتوني : اقرب الموارد ، في المواد : فس ، فش ، فص ، وترابيها الثلاثية .

٣) معلومك ان اللغات السامية ولهجاتها ، ما عدا الاكدية والعربية الفصحى ، خالية من حركات الآخر ، في الافعال كما في الاسماء والصفات . ولذا ترى مذهب « ثنائية المبنى » اظهر في الارمية والعبرية منه في العربية القرآنية . اذ ان المادة باقية على حرفين اولها متحرك والآخر ساكن ؛ وهو احد شرطي الاصوات ذات اللفظ ، او الكلمات . ولذلك مثال على ذلك هذا الفعل Pas . فلا يقال ، كما في العربية ، Pasa اصله Pas . واما Pasas السريانية Fasasa العربية ، فهما من مخترعات النحاة .

فسل	لام	Psal
جاز ، عبر	عين	Psa'
فصل	قاف	Psaq
فسخ الشهادة	راء	Psar

الاصل الثاني (p. ś.)

فشّ ، ارخى	.	Paś
فسا	الف	Pśâ
فسج ، فرج بين رجليه	كيم	Pśag
فسخ ، فصل	حاء	Pśaḥ
فسر	طاء	Pśaṭ
فشج	كاف	Pśak
فتل ، اطال	لام	Pśal
انتحم ، اي امتد	ميم	Pśam
فتر ، امتدّ	عين	Pśa'
انبسط ، سهل	قاف	Pśaq
فتر ، شرح	راء	Pśar

الاصل الثالث (p. ṣ.)

فصل ، خلّص ، قصى	الف	Pṣâ
فضد	دال	Pṣad
فصح ، ضاء ، فرح ، انشرح	حاء	Pṣaḥ
جاز ، عبر ، عيّد الفصح	ʼ	Apṣaḥ
فصل ، عزل	لام	Pṣal
اقترع ، قطع[1] ،	نون	Pṣan

١) راجع Smith: *Thesaurus syriacus* في المواد Pas و Paś و Psa وما يليها من الافعال الثلاثية.

ت — في العبرية

والعبرية كاختيها ، العربية والارميـة ، جارية على النحو ، وحاوية الاصول الثلاثة اي الياء مع كل من السين والشين والصاد -

الاصل الاول (p. s.)

معنى الفعل الثلاثي	الحرف الزائد	الاصل الثاني المزيد فيه حرف
بطل ، زال ، (اي انفصل)	-	Pas[1]
نشر	تكرار السين	Pâsas
قسم ، وزّع	كاف	Pâsag
جاز ، عبر على شيء ، اشفق على ، عيّد الفصح	حاء	Pâsah[2]
فصل ، شقّ	لام	Pâsal

الاصل الثاني (p. s.)

وفرة ، جمّ	-	Paś
انتشر ، فاض	هاء	Pâśâh
فلق ، شق	حاء	Pâśaḥ
بسط ، امتدّ	طاء	Pâśaṭ
القى الى الوراء	لام	Pâśal
مشى ، ساد ، مدّ	عين	Pâśa'
فصل ، فتح	قاف	Pâśaq
فسر ، حل	راء	Pâśar

الاصل الثالث (p. s.)

فضّ	تكرار الصاد	Pâṣaṣ

١) انظر ما سبق من القول في شان *Pas* الارمية ، ص ٥ ، الحاشية ٣

٢) احفظ هذه اللفظة ومعناها الخاص ، فان مدار البحث عليها .

فتح ، شقّ ، خلص	مدّ الحرف الثاني	Pâṣa
ابتهج ، انشرح	حاء	Pâṣaḥ
انشقّ	لام	Pâṣal
شق ، كسر ، فتح	ميم	Pâṣam
جرح ، شق	عين	Pâṣa'
شق ، حز[1]	راء	Pâṣar

فانت ترى من هذه الامثلة ، كيف تتقلّل الالفاظ من ابسط حال يمكنها الوجود فيه ، احتذاء على مثال الطبيعة واصواتها — اي الحال الثنائي — الى

---

(١) اطلب Brawn: *Heb. and English Lexicon* ، في المواد: Paṣ و Paṣaṣ وما يعنيها من الافعال الثلاثية و Elmaleh: *Nouveau dict. Heb.-Français*, في المواد المذكورة

تقول ، بمناسبة وضعنا هذا الجدول لاظهار اشتقاق الثلاثي من الثنائي ، اننا قرأنا مقالة حضرة الخوري بطرس البستاني ، المنونة « بحث في الفلسفة اللغوية » والمنشورة في عدد آب وايلول من مشرق السنة الحالية ؛ وقد صدرتها ادارة هذه المجلة الزاهرة باقتراح القسّ على ذوي الاختصاص من وطنيين ومستشرقين : فطاب لـ ، والحق يقال ، هذا المقال النفيس ، واعجبنا الاقتراح المفيد . ولكنّا انشأنا ، اجابةً الى الاقتراح ، مقالاً برأسه ، ابداء لرأينا في هذا الموضوع ؛ الا اننا آثرنا التريث لظننا عدم كفاية ما في المقال من مادة البحث ، لدرس الاسلوب من جميع اطرافه ، فعسى يتيسّر ذلك حين يُنشر المؤلف برمته . على اننا منذ الآن ، مع قبولنا مبدئيا بما للحروف من تأثير في مبنى الالفاظ وتطور معانيها—مما لم يخفَ على القدماء ، ولاسيما ابن جنّي — نكتفي باعراب فكرين ؛ الاول : انه لم يُعدَ اليوم وافياً بالمرام «البحث ، بامتزال ، في فلسفة اللغة العربية » ، بل يتحتم على من تفرّغ لهذا العلم الجليل ان يكون عارفاً معرفةً كافيةً بقية اللغات السامية ، مما نشأ عنه علم المقابلة بالالسنية السامية ، او « الالسنية السامية » وهو الاسلوب المتّبع بين المستشرقين والاسُتيّين في الغرب ؛ وهو ما نحن ساعون في تحقيقه وتطبيقه في مقالاتنا الالسنية — الفكر الثاني : هو ان حضرة المؤلف تابع النحويين القدماء بجعله « ثلاثية المبنى » بدأً لتطوّر المعاني ، كما فعل في فعل « غاب » (الصادر بالحقيقة عن « غبَّ » او بكلام ادقّ ، عن « غبْ ») والحال ان المذهب الحديث بين ارباب الالسنية السامية هو القول «بثنائية المبنى » اي ان كل ثلاثي يمكن ردّه الى ثُنائي ، كما ظهر من الامثلة المسرودة اعلاه في اللغات السامية الثلاث . ونحن لا نزال مواصلين التنقيب في هذا الشأن . وقد اجتمع لدينا من هذه النماذج ، في مختلف الالسن السامية ، ما يملأ زهاء خمسة صفحة .

الحال الثلاثي والرباعي وما فوق ، بزيادة حرف فاكثر من حروف الابجدية كلها، ولاسيما الخفيفة منها اي حروف العلة والحروف الشفهية او اللسانية . وبهذه الزيادة يزيد المعنى او يتطوّر.

٢

معنى الفصح ، من باب التقيير

فكلمة « فصح» اذن مادتها الاصلية الثنائية تدلّ على الخروج ، فالانتشار ، فالانفصال ، فالابتعاد ؛ ومادتها الثلاثية ، اي بزيادة الحاء على الفاء والصاد ، او بالاحرى على الباء والسين ، كما سترى ، تدل خاصة على الاجتياز والعبور.

فالمعاني الاولى توجد في اغلب اللغات السامية . واماً المعنى الاخير المقيَّد ، فلا وجود له الّا في العبرية ، ثم في الارمية . بيد انه دخيل في الثانية من الاولى ، لنفوذ اصل التوراة العبري على الترجمة السريانية « البسيطة » . فان Pâsaḥ الثلاثي لا يدل على هذا المعنى ؛ ولكن المزيد Afsaḥ قد استعمل فيها عوض bar، اي عبر وجاز ، كما نوّه بذلك بعض المعاجم الارمية[1]

الفصح ، بمعناه المتعارف ، يطلق على عيد من اكبر الاعياد عند اليهود ؛ ثم عند النصارى . ففي نظر الاسرائيليين ، يدل على حادث تاريخي ، اي نجاتهم من الضربة العاشرة التي وقعت على اهل مصر ، وهي قتل ابكارهم من ابن فرعون حتى ابن الامة . ثم بعد ذلك اضيف اليه ذكرى خروج بني اسرائيل من ديار الفراعنة ، وعبورهم البحر الاحمر.

اما النصارى ، فيقام عندهم ذكرًا لقيامة السيد المسيح الذي اضحى بآلامه الحروف الفصحي ، وبدمه نجى البشر من الهلاك الابدي.

اول مرة وردت كلمة الفصح في العبرية ، بمعنى العبور والاجتياز ، كانت في الآية الآتية من سفر الخروج وهي :

لانه فصحٌ ليهوه	Pêsaḥ-hu la-Yahweh

---

١) راجع الترجمة السريانية « البسيطة » خر ١٢ : ١١-١٢ - ومعجم المطران اودو الكلداني جزء ٢ ، ص ٣١٣ – ومعجم Smith, *Thes. syriacus* ، في مادة Psaḥ

ثم في الفصل عينه استعمل منها الفعل بهذا المعنى :

U pasaḥtè 'alèkèm u lâ yehyè bekèm nêgêf.(١ — واعبر عنكم ولا تحل بكم ضربة ملاك

فاللفظة في العبريّة هي اذن Pèsaḥ ، مشتقة من فعل Pâsaḥ الذي معناه عبر وجاز . وقد اطلقت عند اليهود على العيد المذكور آنفاً . ولما عاد بنو اسرائيل من الجلاء البابلي الى فلسطين ، وقد نسي اكثرهم العبرية ، وتعلموا الارمية ، اخذوا يلفظون كلمة Pèsaḥ على طريقة هذا اللسان ، اي بالف الاطلاق ، فقالوا Pasḥâ .

ومن لفظة Pèsaḥ نشأ عند العبريين مثل العبارات التالية المختصة بعيد الفصح : 'âsâ pèsaḥ = عيّد الفصح ؛ śâḥaṭ pèsaḥ = ذبح خروف الفصح ؛ zâbaḥ pèsaḥ = قدّم او قرّب ذبيحة الفصح(٢

٣

انتقال Pèsaḥ من العبريّ الى غيرها من اللغات

هذا ولا يعزب عن ذهن خبير ان اول ترجمة للتوراة كانت الترجمة السبعينية التي بها نُقل الاصل العبري الى اليونانية ، بامر بطلميوس فلادلفوس ، حاكم مصر ، على يد سبعين من علماء اليهود ، في القرن الثالث ق. م. فاهل هذه الترجمة لم ينقلوا كلمة Pèsaḥ بمعناها ، بل ادخلوها في اليونانية على لفظها العبري ، فقالوا Paskha ولم يعبّروا عنها بكلمة Diabasis (٣

والترجمة الثانية للكتاب العزيز هي الترجمة اللاتينية المدعوة الڤلغاتة (اي الدارجة) القديمة ، او الايطالية ، الراقية الى اواخر القرن الثاني ب.م. ثم عقبتها الترجمة الڤلغاتة الشهيرة التي قام بعملها القديس هيرونمس ، في القرن الرابع . فهاتان الترجمتان اللاتينيّتان تابعتا اهل السبعينية في نقل كلمة الفصح - فذكرتها

١) التوراة العبرية خر ١٢ : ١١-١٣ و Vigouroux: *Dic. de la Bible, T.IV, C.* 2094. Hastings: *Dic. of the Bible, T.III p.* 688.

٢) التوراة العبرية : خر ١٢ : ٤٨ ؛ ١٢ : ٢١ ؛ تثنية ١٦ : ٢

٣) الترجمة اليونانية السبعينية خر ١٢ : ١١

الثلثاثة الهيرونمية كما يلي : Est enim Phase (id est transitus) Domini وتعريبه : فانه فصح (اي عبور) الرب[1]

وهذه الثلثاثة تستعمل تارة Phase ، كما هو الامر في كتب موسى الخمسة؛ واخرى Pascha ، كما في حزقيال والعهد الجديد[2]

والى Paskha نسب اليونانيون ، فقالوا Paskhalios ؛ وصاغوا منه فعلًا وهو Paskhazô[3]

اما الكنيسة اللاتينية ، فقد استعملت كلمة Pascha في طقوسها ، كما تلقّتها من الترجمة القديمة والثلثاثة الهيرونمية ، فصاغت من Pascha النسبة ، فقالت Paschalis . ولذا تجد في كتاب القداس ، مثل هذه العبارات :

Cum Pascha nostrum immolatus est Christus	حين تضحية المسيح فصحنا
Festa Paschalia	الاعياد الفصحية
In his gaudiis paschalibus	في هذه الافراح الفصحية
Tempus paschale	المدة الفصحية
Agnus paschalis	الحروف الفصحي
Communio paschalis	التناول الفصحي (٤

وبتمادي الزمان ، اضحت هذه الصيغة النسبية اسم علم للاشخاص . واقدم أثر تاريخي لذلك ، تمكننا الوقوف عليه ، يرقى الى اواسط القرن السابع . فان التأريخ الكنسي يفيدنا ان رجلًا اسمه Paschalis قاوم سرجيوس البابا الشرعي، مدعياً لنفسه الحبرية العظمى ، وقد توفي هذا الرجل سنة ٦٩٤ م . ثم ، فضلًا عن هذا ، فان كثيرين من كبار الرجال قد دعوا بهذا الاسم ، في كل القرون ، في الديار الغربية . منهم البابا پسكاليس الاول ، المتوفى سنة ٨٢٤ ؛ وپسكال الفرنسي الفيلسوف والرياضي الشهير ، في القرن السابع عشر[5]

---

١) الترجمة اللاتينية الثلثاثة ، خر ١٢ : ١١

٢) الترجمة المذكورة ، متى ١٦ : ٢

٣) Pillon : *Dic. grec-français, p.* 984

٤) اطلب في كتاب القداس اللاتيني ، رتبة تبريك الشمعة الفصحية ، والمقدمة الفصحية .

٥) Guerin : *Dic. des dictionnaires, T. V, p.* 666, *et* 667

وقد لُفظت كلمة Paschalis في اللغات الرومانية المتولدة من اللاتينية ، اي الايطالية والاسبانية والفرنسية ، وغيرها ، بطرق مختلفة . ودونك ما جاء في معجم ليتره الفرنسي ، في شأن اصل Pascal الفرنسية قال :

« Pascal. *Etymologie : Provençal* : Paschal ; *Catalan* : Pasqual ; *Espagnol* : Pascual ; *Italien* : Pasquale, *du Latin* : Pascualis ; *de* Pascha, *pâque*. » (١

فكلمة Pascha ادخلها القديس هيرونمس ، واهل اللغات القديمة من العبرية الى اللاتينية بطريق الترجمة السبعينية . وبسبيل اللاتينية ، دخلت اللغات الفرنجية الحالية . وهذا ما يشهد به معجم المعاجم لصاحبه Guerin المذكور في الحاشية ، في اصل Pâque بقوله :

« Pâque : *du latin ecclésiastique*: Pascha, *grec* Πασχα, *qui vient de l'hébreu* : pèsach, *passage* » (٢

اما لفظة «فصح» العربية فهي ، ولا شك ، آتية من لفظة Pèsah العبرية ، لكن يكثر الاحتمال انها لم ترد اليها راساً بل بواسطة السريانية ، كما نرجح ذلك مع العلامة الاب شيخو اليسوعي ، والسبب هو انها تكتب بالصاد كما في السريانية ، ولا بالسين كما في العبرية . وهذه الصورة هي الاكثر شيوعاً في الترجمات الكتابية ، وفي الاسفار القديمة والحديثة . وقد وردت بهذا اللفظ ، لا بغيره ، في الشعر الجاهلي ، رداءً في شأن فصح النصارى ، ولا فصح اليهود . قال الاعشى يمدح هوذة بن علي النصراني ، الذي اطلق اسرى بني تميم ، يوم عيد الفصح ، تقرّباً لله :

ففكّ عن مئة منهم إسارهم واصبحوا كلهم من قُلّبٍ خُلُمَا
جم تقرّب يوم الفصح ضاحيةً يرجو الاله بما اسدى وما منا (٣

(١ Littré : *Dic. de la langue française*, *T. III*, *p.* 984.

(٢ Guerin: *o. c. T. I. p.* 618

(٣ شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ، ص ٢١٦

على انها قد وردت في طائفة من كتب اللغة وبعض الترجمات العربية للتوراة والانجيل على لفظها العبري اي « الفسح او الفاسخ » الا ان هذه الصورة نادرة الاستعمال[1] . اما سعديا الفيومي ، فقد نقلها بالسين ؛ ولا غرابة في ذلك ، فانه كان يهودياً .[2]

فالناجم اذن ان نقلها بالصاد كان من الترجمة السريانية « البسيطة » اذ غير خاف ان النصرانية تغلغلت في بلاد العرب ، ولاسيما الشمالية منها ، على يد السريان من سكان فلسطين وسورية والعراق . وهولاء كلهم كانوا يستعملون الترجمة البسيطة ، وفيها Pesha بالصاد لا بالسين .

اما الحبشية ، وان كان لمادة الكلمة وجود فيها ، فهي قد نقلت اليها بالسين او بالشين ، ولا بالصاد ؛ اي كما هي في اليونانية ؛ لان الكتاب المقدس ترجم الى الحبشية من اليونانية . ولذا نقرأ اسم الفصح فيه Pâska او Pâsika او Feseh .[3]

(للبحث صلة)

(١ Biblia sacra polyglotta, *Exodus XII*, 11
Lane, *Arabic-English Lexicon*, *T. VI*, *p.* 2404
(٢ Saadia Fayyoumy: *Version arabe du Pentateuque*, *pp.* 97 *et* 98
(٣ Dillmann: *Lexicon Linguae thiopicae* C. C. 1252, 1351, 1357, 1392